نـافـذة

جميعنا وطنيون

يعلمنا البدء أن الوطن أولاً، ومن ثم نبت أو هبط منه أو عليه الإنسان الذي استوطنه، فغدا مواطناً، ومعه كان محيطه من نبات وجماد وحيوان، تعلقوا جميعاً به، واصطبغوا بألوان مائه وترابه وهوائه، هل هناك كائن بلا وطن لا يؤمن بوطنه؟ فإذا كان، فهو ليس منا، هي دعوة لجميعنا بأن نكون وطنيين، ليكن ذلك، لنعلن بقوة الإيمان أننا كذلك، ولنعمل من أجل الوطن. تعالوا نطلق عنواننا من جوارحنا، ولنقل إنه لا علاقة لنا بحرب ولا بحزب ولا بدين، نحن وطنيون أولاً، ومن ثم ليكون الاعتقاد، ما يهمنا أولاً وأخيراً هو الوطن، وحدته وقوته، منعته ورفعته التي نحن نصنعها لا غيرنا.

دعونا لا نبحث عن الله، لأنه كائن كلي يهيمن على كل شيء موجود فينا وبمحيطنا، يكفي أن ندركه فيدركنا، كما هو حال الوطن، تعالوا نذهب ضمن الوطن، نفتش عن الخلل داخل أسواره، نرممه، وعن الفجوات فنغلقها، وعن الهُوى فنردمها، وفي خارجها نبعد الأذى عنها بالحوار القانوني أو بالحرب، تعالوا أيها المواطنون إلى كلمة الوطن، نفردها على مساحته، ولنسأل أنفسنا هل لنا مهما جلنا وتجولنا في أصقاع كوكبنا غير هذه الكلمة الوطن الحتمية المسكونة فينا ضمن أعماقنا، تشير علينا أننا حتى وإن متنا فهي لا تموت، من لديه مشكلات مع وطنه؟ لا أعتقد، إنما هناك مشكلات مع أبناء وطنه، يمين يسار، متشدد وسطي، أقصى اليمين متطرف أقصى اليسار متشدد، متدين علماني، مؤمن بعقيدة أو كافر بها، هي هكذا الحياة البشرية خلاف واختلاف، غيرية ضغينة مشككة وحاسدة وحاقدة وعاطفية محبة وبناءة. في الحركة السكون ممنوع، القضاء على القلوب سهل، لكن الصعوبة في محو الأفكار الخلاقة، لأنها تتحول إلى آبدة، تسكن سجل التاريخ.

من هنا أدعوكم أيها الوطنيون للتفكير في خيارات غايتها الحفاظ على الوطن، أسألكم كيف بنا نفعل ذلك أمام هجمات الرعاع والمارقين من كل القنوات، إضافة إلى الماضويين المتدينين المسلحين بالغوغائية الدينية؟ أؤكد أنه سيكون يوماً عظيماً يوم ينتصر الوطن بالوطنيين الذين يعملون بإخلاص لانتصاره الذي نصل إليه، بعد أن يغادر الجميع ساحات المعارك.

دائماً سماء القدير تذكرنا بالديار الحية والأوطان القائمة أبداً بفضل استمرار الوطنيين المؤمنين دائماً بالحفاظ على الثقافة النوعية التي تميز شخصيتهم وحماية منتجهم ودعمهم المستمر للإنتاج الوطني الذي يحمي استقلال البلاد الاقتصادي، كما يدعمون حماية الأمن الداخلي بالمنطق الخلاق، والحدود بالوسائط والتكنولوجيا العسكرية، ويهتمون بالهوية، ويعتزون بالجنسية، فإذا فقدت الوطنية تتشرذم الأوطان، ويغدو الوطن عرضة يتناهبه القاصي والداني، وبعدها ينقسم كما الخلية السرطانية أولاً، ومن ثم تظهر بقعها في جسد الوطن، وبعدها تظهر مستوطناتها التي يصعب تفكيكها، وتكون بذاتها صدامات قاتلة لجغرافية الوطن التي تنعكس على المواطن الذي يعتقد أنها صدمات أصابتها، من دون أن يدرك أنها أصابت وطنه، وانعكست عليه، وأنها السبب الرئيس فيما حدث له، يخرج بعدها ليقول: لن أحيا في هذا الوطن إن لم تسد فيه الحرية والتسامح والعدالة، لن أبني في وطن لا يحكمه القانون، من دون أن يعود لسؤال مهم، المواطن وحده يملك الإجابة عنه: من يفقد الوطن حريته وتسامحه وقيمته وأصالته؟ أليس المواطن بعينه الذي أفقد الفضيلة حضورها ومضمونها؟ وأخذ بها مظهراً لنفاق هائل وتكاذب خطر، حول الجميع إلى طلاب تشاحن ومماحكات عقيمة، لأن منظومة الأخلاق المبنية على الخوف ذهبت جميعها بذهاب الخوف، وسيطر الانفلات على الجميع، فانفلت الوطن، وهذا يعكس المعادلة التي تشير إلى أن انضباط المواطن يدل على قوة الوطن، والعكس يعني ما تحدثنا عنه.

إن إنهاء الحالة الوطنية لا يتم إلا بغزو فكر المتعلقين بها بفكر آخر، وبشكل خاص بالفكر الديني الشمولي الذي لم يوجد له من ينبري لمناهضته والتفريق بينه وبين الإيمان بالكلي، وبإنسانية الإنسان.

إن أي أمة أو شعب متحضر قوي الحضور متين البناء تريد غزوه وتدميره عليك بغزو فكره وتشتيت أفكاره، فيسهل اصطياده وإسكان ما تريد من أفكار هدامة مفرقة مدمرة منه، لتحصل بعدها على نتائج مذهلة، وهذا يحدث حينما يغيب الحامل الفكري الرئيس، أو أن المسؤول عن حمايته يبتعد أو ينشغل بأشياء ثانوية.

الوطنيون واقعيون ومؤمنون ومنتمون، حتى وإذا تأدلجوا، يختارون أيديولوجيا الوطن أولاً، يتحزبون نعم بعد أن يختاروا بدقة مبادئ حزب الوطن الذي يمتلك وحده قيمة وقوة الإنسان الإنساني، هلّا سألنا أنفسنا: لماذا وكيف يعيش مواطنو العوالم الأخرى بأمان واستقرار، ونحن لسنا على ذلك؟ كيف بنا لا نتفكر في الكيفية التي حرر بها طغاة عالم الشمال أنفسهم من أجل استعباد شعوبهم والعالم بأسره؟ كيف بنا لا ندرك هذه المعادلة، وأن الأوطان لا تموت؟ وكذلك الحرية الشخصية المؤمنة بالقانون الإلهي والوضعي، وأن الإنصاف موجود في الحياة، وليس بعيداً عنها، وأن الحجم يصنعه الإنسان لنفسه بنفسه، ويحتاج إلى القليل من الدعم الحقيقي مع ضخ نوعي للأفكار الخلاقة التي تعتبر في مرحلة ضعف الوطنية أهم من الماديات، فإذا ضعفت الأفكار، أو سادها الجهل فقدت الماديات قيمتها، فالذي يعتبر الوطن مجموعة منافع ومصالح شخصية ومراحل آمنة يكون مدعياً مهما تحدث عن حبه للوطن على أهمية إفادته لمواطنيه وحفاظه على مصالحهم ضمن عملية التبادل الأخلاقي؛ الحقوق والواجبات، وكذلك المشككون في وطنية الآخر، وأنهم الوحيدون المنتمون لحب الوطن. الفرق كبير بين من لا يعرفون الوطن أو يحصلون على اسمه فقط، وبين من يدافع عنه بفكره وجسده وماله، الفرق كبير بين المثرثرين والمزايدين، وبين البنّائين والخلاقين المؤمنين بضرورة حضوره وحق وجوده، فهؤلاء يجسدون ممارسة الوطنية الحقة.

ليسأل كل منا فكره هل أنا وطني؟ وماذا تعني الوطنية؟ وكيف يتكون الوطنيون؟ هل نحن منقسمون في وطنيتنا؟ وهل الوطنية تقبل القسمة، وما علاقة الوطنية بالسيادة التي تشكل الحامل والحاضن الأساس لها وآليات الحفاظ عليها التي لا تحضر إلا من أخلاق مواطنها العالية والراقية والقوية؟

الوطنيون يؤمنون بثلاثية العلاقة القائمة من السياسة والاقتصاد والمجتمع، ومنها ينتج الحب للوطن والإيمان فيه والتضحية لأجله، والعمل الدائم لنصرته، وعلى الصعد المحلية والإقليمية والدولية كافة، كيف بنا لا نكون منتمين لعنواننا من دون شوفينية أو عنصرية؟.

د. نبيل طعمة

أنا اليوم أمدّ يدي لمن شرّدني وأخذ بيتي وقتل أخي

شريفي لـ«الوطن»: لم أكن أعرف أن قلبي ما زال ينبض

سارة سلامة

عادل شريفي

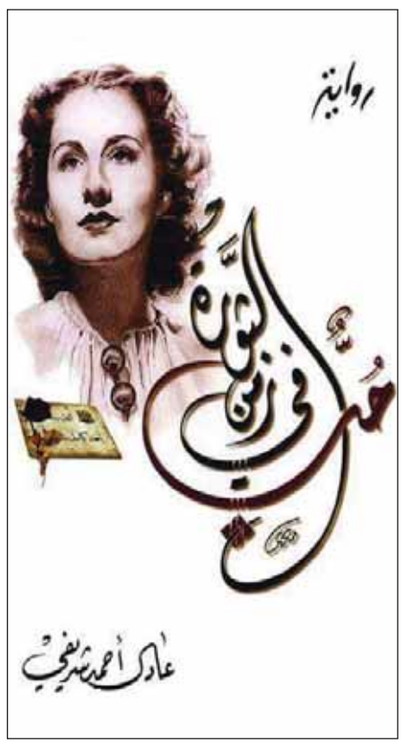

بجرأة وواقعية دخل عالم الأدب والكلمة ليختزل سنوات مضت أضناه فيها العمل بمهنة يبدو أنها لم تعد تستهويه فترك عمله كمحامٍ، والتجأ إلى شاطئ يسكنه يروي فيه كل ما تختلج إليه نفسه، فكانت الكتابة التي أعطته تلك المساحة من الانطلاق والحرية، ليطوف بنا في خياله الواسع نتلمس عمق إحساسه وروحه العطشى التواقة للكتابة!

عادل أحمد شريفي كاتب وشاعر وروائي، له عدة روايات قيمة ومجموعات قصصية ودواوين منها «الحب في زمن الثورة»، و«هكذا تكلمت ناهد».

فما السرّ الذي يدفع بمحامٍ ليغير مسار قضاياه، ويجعل قضيته الأولى هي الكتابة!، ربما هي قدرة الكاتب على خلق عالمه الخاص والتضحية في سبيل نهمه على الشروع بروايته باحثاً في أهوائها وغائصاً في عوالمها عشقاً وحباً واكتشافاً، مستحضراً للواقع بصورة جميلة ومحسوسة، ليكون قريباً من كل شخص فينا.

• من محامٍ سابق ومستشار قانوني إلى العمل في مجال التأمين، نراك اليوم تدخل عالم الكتابة هل تتحدث لنا عن تجربتك؟

تاريخياً فإن عدداً لا بأس به من العاملين في الشأن القانوني كانوا كتاباً، وذلك بسبب اضطلاعهم بأصول الصياغة القانونية التي تفتح لديهم آفاقاً في فهم النص وترجمة ما يجول في خواطرهم على الورق، إضافة إلى ولهي الشديد بالمطالعة منذ أن كنت طفلاً، وربما كان للمكتبة الفنية والموسيقية التي اشتهر بها المرحوم والدي وتشجيعه لي للنهل منها فضل كبير، حيث كان يجمع أنفس الموسوعات الموسيقية في المنطقة العربية، هذا إضافة إلى الصالون الأدبي الذي كان يعقد في منزلنا، كل ذلك حفزني وأثار في نفسي الشغف للكتابة منذ زمن بعيد، ومن بعدها تحولت محاولاتي الفتية الخجولة إلى تجربة قائمة بحد ذاتها، وامتلكت بموجبها حتى الآن العديد من المؤلفات والروايات المشهورة في الوطن العربي كرواية «حب في زمن الثورة»، ورواية «هكذا تكلمت ناهد».

• هل يعود الفضل للأزمة في دغدغة مشاعرك وإيقاظ روح الكاتب فيك؟

لا شك أن الأزمة كانت بمنزلة حافز شعوري إضافي يدفعني للكتابة، وذلك لأنني ابن هذا المجتمع المأزوم، وليس من المفترض أن أنفصل عنه، والجدير بالكاتب أن يكون لديه حساسية عالية بالمحيط الذي يعيش فيه، وأن يترجم هذه الحساسية إلى أعمال إبداعية.

• نرى في روايتك «حب في زمن الثورة» ربطاً كبيراً مع الأحداث التي نعيشها، إلى أي مدى تحاول توثيق الواقع من خلال روايتك؟

حاولت أن أبين من خلال الرواية وأقارن مقاربة مقصودة بين ثورة الثامن من آذار التي بنت دولة وبين حركة رعاع!، هدّمت كلّ شيء، ودمرت كل ما أمامها من الأخضر واليابس، في بلد كان ينعم بالأمن والسلام لأكثر من ستين عاماً، لذلك أقول: إن التوثيق الأدبي هو مسؤولية تقع على عاتق الكتّاب، فإن لم يكن الكاتب بقلمه شاهداً على العصر فما حاجة المجتمع به؟ فمن غير المعقول أن يكون أدب الرّخاء مشابهاً لأدب الأزمة.

الكاتب يجب أن يكون لديه حساسية عالية بالمحيط الذي يعيش فيه.. وأن يترجم هذه الحساسية إلى أعمال إبداعية

• كيف تنظر إلى مستوى القصة القصيرة في سورية؟ وهل كتّابها يأخذون حقهم كما يجب؟

لا خوف على القصة القصيرة في سورية فهي متميزة دوماً بفضل كتّابها المتميزين، وسورية بلد ولادة للأدب والفكر والثقافة، إنما أوجه اللوم للهيئات المشرفة على الشأن الثقافي في سورية بعدم اضطلاعها لدورها كما يجب، من خلال دعم وتشجيع الكتاب والروائيين الصاعدين، وأيضاً المسألة المعيبة هي تفشي الشللية! المقيتة، ولجان التقييم القديمة التي فات عليها الزمن ولم تتطور أبداً وهي بالأساس تنظر بعين العداوة للأجيال الصّاعدة.

• لماذا اتجهت للرواية التي تتطلب من الكاتب وقتاً طويلاً؟

لا شك أن الرواية هي من أصعب الفنون الأدبية، وأنا أرى لذة حقيقية في كتابتها، طبعاً الموضوع هو الذي يفرض اللون الأدبي على الكاتب، فإذا كانت القصة تحتمل العديد من الشخصيات المتفاعلة ضمن فضاء واسع من الأحداث، فالرواية هي القالب المناسب لتصوير أحداثها.

• ماذا عن شخصيات روايتك.. هل هي مأخوذة من الواقع؟

كل ما أكتبه واقعي، وشخصياتي هي من النوع الشائع الذي يتعامل ويتفاعل معها الجميع، وهذا ما يجعلها قريبة جداً من القارئ، وهناك العديد من الآراء التي تسعدني بقولها: إن الشخصية «تتحدث عن قصتي!».

• مَن من كتاب القصة القصيرة يثير إعجابك عربياً وعالمياً؟

عربياً فإنني أستمتع بروايات الكبير حيدر حيدر، والطيب صالح، وأدهم الشرقاوي، وحنا مينه، وزكريا تامر، وإحسان عبد القدوس، أما عالمياً فألبير كامو وكازنتزاكيس وليو توليستوي وأرنست همينغواي وماركيز.

• لديك رومانسية وغزل كبير يجعلانك تتقاطع مع الشاعر الكبير نزار قباني حسب الكثيرين ما تعليقك؟

بلا شك أنا متيم بأسلوب الراحل نزار قباني الشعري، وأحاول دائماً أن أصيغ أسلوباً يشابهه، وهذا أمر يسعدني جداً وأتمنى أن أنجح في ذلك، وهذه إضاءة بسيطة على أسلوبي الرومانسي في قصيدة بعنوان «نشيد الروح» من ديوان صرخة مجدلية، حيث كتبت:
لم أكُنْ أعرفُ أن قلبي مازالَ ينبضُ، إلا حينما كُنتِ، عندها سمعتُ إيقاعَ «التانغو!» يعزفُ في وريدْي..
رغمَ أنّي نسيتُ الرّقصَ منْذُ زمنٍ بعيدِ.
ما كُنتُ أعرفُ أن قُبلةً سرقناها في عَتمة العُمرِ يمكنُ أن تفتحَ لي باباً على الرِّيحْ! أغلقتُهُ مَنَ سنين، كي أستريح.

• تطرقت في روايتك لقضايا كثيرة منها الفساد.. هل تعتقد أن ذلك يكفي لمحاربة هذه المعضلة؟

لا أظن أن الكاتب وحده قادر على تغيير المجتمع بأكمله، إذا لم يبادر المجتمع بحد ذاته إلى تغيير المفاهيم الخاطئة السائدة، لذلك يجب علينا جميعاً أن نضطلع بدورنا، كل واحد من مكانه لتعرية هذه الظاهرة ووضعها تحت مجهر التركيز.

• تدعو دائماً إلى السلام والحب، محارباً التعصب والطائفية، هل تطمح بتأسيس مدينة أفلاطونية من خلال كتاباتك؟

كتاباتي تنضح بما في قلبي، ربما أطمح لذلك كما تقولين، ولكن السؤال هو هل سأنجح في ذلك؟ وأنا اليوم أبدأ بنفسي طارحاً كل تفكير بالانتقام ممن شردني أنا وأسرتي واستولى على بيتي وقتل أخي، مادّاً يدي بالسلام على الآخر الذي لطالما خالفني التوجه، عسى أن يكون هذا دافعاً للآخرين لمقابلة هذا السلوك بمثله.

• تحدث لنا عن جديدك وخاصة أنك وقعت رواية جديدة بعنوان: «هكذا تكلمت ناهد»؟

هي رواية جريئة جداً صدرت في بيروت عن دار الغد العربي، تتحدث عن التجارب الجنسية لصبية استطاعت أن تبادل جسدها بالحكمة من خلال علاقاتها برجال مميزين على جميع الصعد، وكيف استطاعت ناهد تحقيق نجاحات عديدة في حياتها قد ترغب الكثيرات في تحقيقها، رواية تعري النفاق في المجتمع، وكيف أن الجميع يطمح لناهد في الفراش لكنهم ينكرونها في الواقع، إلى أن فرضت نفسها على الجميع من خلال ما حققته في المجتمع فتناسى الجميع ماضيها تماماً كالعادة.

• ما الرسالة التي تحاول وتريد تقديمها من خلال كتاباتك؟

أحاول ما استطعت أن أقدم كل ما هو إنساني، وشاعري، مع الحفاظ على أن أكون أنا بكل ما أكتب.

• إلى أي مستقبل ينظر عادل شريفي؟

أطمح دائماً كغيري من الذين يعملون في المجال نفسه لأحقق النجاح ساعياً له بشكل دؤوب، واليوم أرى أني أحرقت العديد من المراحل وأصبو للمزيد منها.

غزوات شعوب البحر... محاولة في البحث والدراسة

القراءة في صفحات التاريخ الخفي... توصلنا إلى حقيقة أننا أمة تستحق الحياة

سوسن صيداوي

«غزوات شعوب البحر» كتاب صدر عن وزارة الثقافة الهيئة العامة للكتاب، مؤلفه نزار مصطفى كحلة، جاء الكتاب بواقع ثلاث مئة صفحة، محتويا على سبعة فصول، ويأتي البحث فيه ليسد ثغرة كبيرة في المكتبة العربية، الفقيرة أصلا بكتب تاريخ الشرق العربي القديم، وخاصة هذه المرحلة المهمة منه.

تحركات شعوب البحر

قسّم المؤلف الدراسة التي وصفت تحركات شعوب البحر وتحدث عن أسبابها وتاريخ حدوثها وكيف حصلت وكم استمرت والنتائج التي أسفرت عنها من خلال سبعة فصول، راعى فيها التسلسل المنطقي والتاريخي للأحداث، ففي الفصل الأول تناول المؤلف أوضاع المنطقة عشية حدوث المتغيرات، على حين تناول في الفصل الثاني، غزوات شعوب البحر بشكل عام، مع ذكر الأسباب التي أدت إلى حدوثها، وأفرد في الفصل الثالث الحديث عن غزو مصر من شعوب البحر، ومن ثم تحدث في الفصل الرابع عن غزو شعوب البحر لآسيا الصغرى، وسقوط الإمبراطورية الحثية، وكان الفصل الخامس لذكر غزوات هذه الشعوب لبلاد الشام، وخاصة مملكة أوغاريت، أما الفصل السادس فقد كان للحديث عن مواجهة ما تبقّى من هذه الشعوب والأقوام مع الدولة الآشورية الوسطى، في عهد ملكها تجلات بليصر الأول ١١١٧-١٠٧٧ق. م والقضاء عليهم بشكل شبه تام، وفي الفصل السابع تمّ التوصل إليها، نتيجة حصول هذه التحركات الكبيرة، في عالم شرقي البحر الأبيض المتوسط.

في غزوات شعوب البحر

لطالما مرت عبارة «غزوات شعوب البحر» معنا أثناء دراستنا لكتب التاريخ، خاصة تلك التي تعالج قضايا تتعلق بتاريخ آسيا الصغرى وسواحل بلاد الشام ومصر، أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، هذه الشعوب التي انطلقت من السواحل الشرقية لأوروبا وجزر بحر إيجه، نحو ١٢٠٠ق. م، مدمرة أمامها الإمبراطورية الحثية، ومملكتي أوغاريت وموكيش (آلالاخ) و باقي الساحل السوري، إلى أن استطاع الملك المصري رعمسيس الثالث ١١٨٩-١١٦٥ق. م إيقافها، حيث تفرق بعضها، وسكن بعضها الآخر فلسطين مندمجين مع سكانها الأصليين (الكنعانيين)، في ظاهرة تشبه إلى حد بعيد ظاهرة حروب الفرنجة (الصليبية) المعروفة. وفي مقدمة البحث تابع المؤلف، يقول الخطيب الروماني الشهير ماركوس شيشرون ١٠٦-٤٣ق. م: «من لم يقرأ التاريخ يعش طفلا أبد الدهر» ومن يعتقد أن العلوم السياسية بمفهومها الحديث (دراسات وأبحاثاً) هي من نتاج القرون الأخيرة من الألفية الثانية بعد الميلاد، ويبق في حالة استنكار للدراسات التاريخية الهادفة لاستقراء التاريخ، واستخلاص العبر منه، يبق قاصرا عن استشراف المستقبل والإعداد له، خير إعداد. وحسب المؤلف كحلة، فقد علّمتنا دروس التاريخ، أن الفكر السياسي والدراسات السياسية، ودراسة الواقع الدولي، وقراءة الواقع السياسي لدول الجوار، ومعرفة المتغيرات الدولية، كانت من صلب عمل القادة السياسيين الكبار عبر التاريخ. وانطلاقا مما ذكر، نستطيع أن نفهم الدوافع التي أجبرت أعظم إمبراطوريتين- المصرية والحثية- حكمتا منطقة شرق المتوسط، أو ما يسمى اصطلاحات «المشرق الأدنى القديم» على توقيع معاهدة السلام، التي أعقبت معركة قادش ١٩٨٥ق. م التي جرت بينهما في سياق الصراع الدولي للسيطرة على سورية (بلاد الشام) ذات الموقع الإستراتيجي المهم. تلك المعاهدة التي وقعت عام ١٢٦٩ق. م أي بعد انتهاء معركة قادش بنحو ستة عشر عاما، ودخول القوتين العظيمتين «حربا باردة» لم تسفر إلا عن توقيع معاهدة السلام تلك، التي أنهت حالة الصراع بين أقوى قوتين في أواخر عصر البرونز الحديث ١٦٠٠-١٢٠٠ق. م.

ومن يدرس الواقع السياسي والرؤية السياسية، التي حدت بملوك وأباطرة تلك الدول، لتوقيع تلك المعاهدة، يجزم بأن ثمة «دراسات» واستشارات سياسية، قد تمت من الجانبين، فقد أدرك كل من إمبراطور الحثيين خاتوشيلي الثالث ١٢٧٥-١٢٥٠ق. م، وملك مصر رعمسيس الثاني ١٢٩٠ -١٢٢٤ق. م أن ثمة متغيرات دولية قادمة، ليست في مصلحة الطرفين، لو استمرا في حالة العداء، ويأتي على رأس هذه المتغيرات:

١- حالة الضعف، التي كانت تعانيها الدولة البابلية في ظل الحكم الكاشي ١٥٩٥-١١٥٧ق. م.

٢- نهوض قوة آشور (الدولة الوسطى) بشكل ينبئ عن قيام دولة قوية، قد تنافس كلتا الدولتين (الحثية والمصرية).

٣- والأهم من ذلك، الأحداث التي كانت تجري في شبه جزيرة البلقان، والتحول في مسيرة واتجاه الحكم في مملكة مسيني (ميكيني) نحو العسكرة، الذي أدى بدوره إلى تحركات هائجة، عمت معظم جزر بحر إيجه، وبعض جزر البحر المتوسط، إضافة إلى تحرك شعوب وقبائل آسيا الصغرى المجاورة لحاتوشا عاصمة الحثيين من جهة، وبعض قبائل منطقة ليبيا غرب مصر من جهة أخرى، هذه التحركات التي وصفت في نصوص مصر القديمة بأنها «تحركات الشماليين في جزرهم» (سكان الجزر الشمالية) التي باتت تُعرف اليوم بغزوات شعوب البحر.

كل هذه المتغيرات كانت قد رُصدت من قادة وملوك الدول الكبرى، فسعى كل طرف منها لتحسين مواقعه في انتظار القادم، بكل ما ينبئ من مخاوف وصدامات، قد تؤدي إلى كوارث تزيل دولا وإمبراطوريات من الوجود، وتنشئ أخرى.

صعوبات البحث

ذكر المؤلف نزار مصطفى كحلة الصعوبات التي واجهته خلال إعداد دراسته هذه، حتى إنه أفرد لها عنوانا خاصا، موضحاً أنها تجلت بنقص المصادر التاريخية، لطالما أعاقت بحثه خلال متابعة الدراسات والأبحاث، في الفترة التاريخية الفقيرة بالمصادر والنقوش والكتابات، وذكر أيضاً أن من المشاكل التي واجهته وكانت من المشاكل الأكثر صعوبة، هي تضارب فترة حكم ملوك وقادة تلك الفترة الزمنية بين مصدر وآخر، ما صعّب عليه إجراء المقارنات اللازمة، بغية الوصول إلى صورة أقرب ما تكون إلى الحقيقة، مشيراً إلى أن هذه التناقضات حالت دون ذلك، فقد بدا البحث، وفي بعض الأماكن، وكأنما فقد بعضا من منطقية الحدث، لكنه حاول قدر المستطاع أن يصل إلى أقرب تصوّر ممكن لما حدث في تلك الفترة الزمنية، من حيث دراستها بشكل واضح وجلي، فهي ترتقي بصعوبتها إلى تصنيفها من أصعب إشكاليات التاريخ دراسة وبحثا.

الغاية من البحث

الغاية الحقيقية من هذا البحث، مقاربة فترة زمنية غائمة في أذهان الكثيرين ممن تصادفهم هذه العبارة الدائمة (دمّرت على يد شعوب البحر)، وغالبا ما يأتي الشرح مقتضبا في أسفل حواشي صفحات تلك الكتب التي تتطرق لذكرها، ويبقى ما قدمه المؤلف كحلة: «محاولة، تأتي في سياق محاولاتي الكثيرة والمتشابهة في البحث عما خفي عنا في التاريخ، وخاصة القديم منه، بغية إدراك حقيقة ما حدث لنا، وما يحدث الآن، أو ما قد يحدث لاحقا، إذا أدركنا جيداً قراءة صفحات هذا التاريخ، وخاصة ما خفي منه، لعلنا نصل إلى حقيقة ما وصلنا إليه من تراجع، قارب حد التشكيك بأنفسنا وشكّك بقدرتنا على تصنيف بعضنا لبعضنا الآخر، على أننا أمة تستحق الحياة».

كما اعتبر أن الغاية الأهم من البحث هي الارتقاء بعقل القارئ نحو معرفة ما خفي من تاريخه وخاصة في المراحل المفصلية منه، التي ضنّت علينا معظم كتب التاريخ، في تقديم إيضاحات عنها، إضافة إلى استقراء العبر، وفهم الحاضر واستشراف أفضل للمستقبل.